اسم الدرس : تفسير سورة القيامة

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد –صلى الله عليه وسلم–، بإذن الله –عزَّ وجلَّ– تكون الوقفة اليوم مع سورة القيامة، أو وقفات سريعة مع سورة القيامة، هذه السورة التي بدأت بقوله –سبحانه وتعالى–:

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ* أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[القيامة:١:٢:٣:٤]، هذه السورة افتتحت على قول جماهير المفسرين بقسم، وختمت بسؤال؟ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[القيامة:٤٠]، لذلك ورد في بعض الآثار أن القارئ حينما ينتهي من هذه السورة يستحب له أن يتفاعل مع هذه السورة، وأن يجيب عن هذا التساؤل، فيقول: "بلى"؛ أي أن الله – عزَّ وجلَّ– قادر.

أي أن الإنسان يخرج من هذه السورة وهو يجيب بالإيجاب موقنًا أن الله –عزَّ وجلَّ– قادر على كل شيء، فيقول: بلى الله –عزَّ وجلَّ– قادر على كل شيء، إذًا هذه السورة تجعل الإنسان يوقن بقدرة الله –سبحانه وتعالى– على كل شيء، ولا سيما على البعث.

★ بدأت هذه السورة بقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة:١:٢]،

اختلف المفسرون في قوله –سبحانه وتعالى– ﴿لا أُقْسِمُ﴾ ما معنى لا أقسم؟ جمهور المفسرين على أن (لا) هنا زائدة، يسمونها صلة زائدة، وأن هذا قسم كما قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[الواقعة:٧٥]، رغم أنها جاءت بـ لا ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[الواقعة:٧٥]، ثم قال بعدها –سبحانه وتعالى–: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة:٧٦]،

أي: أن الله –عزَّ وجلَّ– على قول جمهور المفسرين أثبت أن (لا أقسم) معناها قسم، و هذا أسلوب مستعمل عند العرب ومعروف عند العربية، ولم ينكره أحد على النبي –صلى الله عليه وسلم– حينما جاء به؛ لأنه كان أسلوبًا معروفًا، أن الإنسان إذا أراد أن يقسم بشيء ومن شدة وضوح هذا الشيء، يستعمل لفظ لا أقسم.

- بل إن القرآن ليس فيه لفظة "أقسم" مثبتة، أي أنه لم يأتِ في القرآن (أقسم بكذا)، لكن عندما يأتي قسم يأتي بحرف القسم، والطور... والذاريات... والنجم، يأتي بحروف القسم، لكن لم يأتِ في القرآن "أُقسم" مثبتة، ولكن جاءت منفية: (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)(سورة الواقعه: ٧٥)

(بِهَذَا الْبَلَدِ) (سورة البلد: ١) (بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (سورة القيامة: ١) و غيرها من الأقسام، جاءت منفية

لا أُقْسِمُ ،

فقالوا في اللغة: يأتي القسم منفيًا، ويدل على القسم، عندما يكون الأمر في قمة الوضوح،

فكأنك تقول هذا الأمر لا يحتاج إلى قسم من شدة وضوحه،

فكأن يوم القيامة وقدرة الملك –سبحانه وتعالى– على جمع العظام بعد الموت وبعد نفخة الصور، وأن الله –عزَّ وجلَّ– قادر على البعث، هذا الأمر لا يحتاج إلى قسم، لأن الأدلة عليه لا تُحصى.

في كل فعل من أفعال الله في الكون، في كل مرة تطلع فيها الشمس،

في كل مرة يخرج فيها الثمر، في كل مرة يخرج فيها الجنين من رحم الأم،

في الأحداث التي نشاهدها؛ دلالة على القدرة، على أن الله –عزَّ وجل– قاااادر!...

في كل جنين ينفخ فيه الروح، في كل هذه الآيات من حولنا دلالة على أن الله –عزَّ وجلَّ– قادر على البعث،

فكيف يأتي إنسان وينكر البعث وينكر اليوم الآخر؟! كيف يأتي الإنسان ويفعل ذلك؟!

فالأمر في قمة الوضوح، فقالوا: أن (لا أُقْسِمُ) بمعنى أقسم.

وبعضهم قال: إن (لا) هنا كأنها رد على كلام قالوه، أي أنهم ينكرون يوم البعث، فتأتي (لا) ردًا على كلامهم، ثم... { أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}، وهذا القول فيه ضعف، هناك أقوال كثيرة، كل الأقوال استشكلت كيف يأتي حرف النفي مع القسم وحاولوا حلَّ هذا الإشكال، لكننا سنسير مع جمهور المفسرين، أن هذا قسم، وقد قلنا لماذا جاء بهذه الصيغة؛ لأن الأمر في قمة الوضوح.

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فهنا قسم بيوم القيامة أو من شدة وضوح يوم القيامة، ودلالة الكون كله على أن الله –عزَّ وجلَّ– قادر على البعث الأمر لا يحتاج إلى قسم، ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وإن كان بعضهم جعل هذا الكلام قولين؛ أن هذا ليس قسمًا؛ لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم، أو هذا قسم ولكن من شدة وضوحه جاءت هذه الصيغة، أيًّا كان الأمر ففيه تعظيم ليوم القيامة.

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة:١:٢]، هنا توقف المفسرون ما معنى لا أقسم بالنفس اللوامة؟ ولماذا يقسم الله –عزَّ وجلَّ– بهذه النفس؟ ما هي هذه النفس أولًا؟ ما معنى النفس اللوامة؟ ثم السؤال الثاني ما علاقة النفس اللوامة بيوم القيامة؟

ما سبب الجمع بينهم ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾؟

ثم بعد ذلك ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[القيامة:٣]، واختلف المفسرون، أين جواب القسم؟؟، وكثير منهم قال إن جواب القسم محذوف،

جواب القسم محذوف تقديره (بلى الله –عزَّ وجلَّ– قادر على البعث)، وأيضًا كأن من شدة الوضوح لا يحتاج أن يُذكر جواب القسم، فكأن الأمر كله في قمة الوضوح.

إذًا ماهي النفس اللوامة؟!!

بعضهم قال: هي نفس المؤمن التي تحاسبه دائمًا، المؤمن يحاسب نفسه كثيرًا؛ لِمَ فعلت؟ مِمَ أكلت؟ هذا المال حلال أم حرام؟ يسأل نفسه لماذا أخرت؟ لماذا قدمت؟ يسأل المؤمن نفسه دائمًا يحاسب نفسه. وجاءت بصيغة المبالغة؛ لأن المؤمن يكثر من لوم نفسه يعاتب نفسه كثيرًا في الدنيا، المؤمن كثير المحاسبة لنفسه، وكثير المعاتبة لنفسه،

وقيل: هذا في الكافر يوم القيامة يلوم نفسه، يوم القيامة يتحسر على كل لحظة أضاعها بعيدًا عن طاعة الله –سبحانه وتعالى–، فيأتي العاصي والكافر والفاجر يوم القيامة، وينظر إلى ثواب أهل الإيمان، ثم يتحسر ويندم ويلوم نفسه على كل لحظة أضاعها كانت في هذه اللحظات فرصة لطاعة الله –سبحانه وتعالى–، وقيل: إن النفس اللوامة هم المؤمنون يلومون العصاة يوم القيامة ويعاتبونهم.

وقيل –وهذا هو **الأرجح**–: إن النفس اللوامة كل الناس لابد أن تأتي عليها لحظة لوم، سواء المؤمن يلوم نفسه في الدنيا، أو المؤمن المقصر يلوم نفسه يوم القيامة، أو العاصي يلوم نفسه في الدنيا ثم لا يفعل الطاعات، أي أنه قد يمر بلحظة ندم، لكنها ليست ندم توبة،

كما قال أحد ابني آدم حينما قال: ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي﴾[المائدة:٣١]،

و قال ربنا –سبحانه وتعالى– ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[المائدة:٣١].

هذا الندم ليس ندم توبة بدليل **أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر أن كل قاتل إلى يوم القيامة على ابن آدم الأول كِفل من هذا القتل، فهو الذي سنَّ سنة القتل**(١)،

فهذا الندم ليس ندم توبة، فأحيانًا الإنسان يمر بلحظات لوم، يقف مع نفسه.

فيقول أنا أخطأت، هل يُعقَل أن أعيش الحياة عبثًا هكذا،؟؟

لا يُعقَل أن يكون هذا الكون بلا غاية، هل يُعقل أن أعيش بلا طاعات؟؟

---

١ - [عن عبدالله بن مسعود:] لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إلّا كانَ على ابْنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِها، لأنَّهُ أوَّلُ مَن سَنَّ القَتْلَ.

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٣٣٣٥ • [صحيح] •

من الممكن أن يلوم نفسه ثم يأتي ليفعل الطاعة فيتردد، ثم يترك الطاعات، كثير مِنّا يمر بلحظات إفاقة، لحظات يفيق من الغفلة، لكن لا يستطيع أن يفعل الطاعات.

مثلًا أحد أصدقائه مات، فعلى القبر يبكي ويندم ويقول يا رب، إن شاء الله سأفعل وأفعل، ثم بعد ذلك إذا عاد لحياته نسي كل هذه الوعود والمواثيق، أيضًا حينما يكون في منتصف البحر، حال الإنسان عندما يرتفع الموج من حوله، ويكاد أن يغرق، فيقول يا رب ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[يونس:٢٢] ويلوم نفسه.

الشاهد أن كل إنسان مؤمن أو كافر تأتي عليه لحظة من لحظات اللوم، سواء في الدنيا أو في الآخرة.

إذًا ذكرنا الأرجح؛ أن النفس اللوامة كل النفوس تمر بلحظات لوم وندم.

فما علاقة النفس اللوامة بيوم القيامة؟ ما علاقة أن الله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة:١:٢]، الناظر في هذه السورة يجد العتاب للإنسان الذي يريد أن يعيش الحياة في حالة عبث، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[المؤمنون:١١٥]، كما قال ربنا – سبحانه وتعالى– في سورة المؤمنون.

هذه السورة تخاطب هذا الإنسان الذي يريد أن يعيش الحياة سدى،

﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦]، ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[القيامة:٥]،

هذه السورة تخاطب هذا الإنسان، الإنسان الذي يريد أن يفجر،

يريد أن يعيش حياة، كما قال الشافعي: "أجمع ما نحفظ من أهل العلم أن السدى معناها لا يؤمر ولا ينهى" هناك اتفاق من المفسرين على المعنى العام لكلمة سدى

﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦]، إنه يريد أن يعيش بدون أوامر وبدون نواهٍ، يريد أن

يفعل ما يشاء والتفسير العملي لها هو: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[القيامة:٥]، وسنتكلم في معاني يفجر أمامه، لكن نذكر المعنى العام سريعًا: يريد أن ينطلق، يفعل ما يشاء، لا يريد أي حد من الحدود، لا يريد أي أوامر أو نواهٍ، وإنما يريد أن يفجر وينطلق.

هذه السورة تخاطب هذا الإنسان المعرض الذي أعرض عن الصلاة، فلا هو صدق ولا صلى ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[القيامة:٣٢:٣٣]، متبخترًا متكبرًا، هذه صورة هذا الإنسان المتكبر الذي يعيش في حالة من اللامبالاة يظن أن الحياة سدى،

تخاطبه هذه السورة، وهذا الإنسان يأتي بشبهة، فيقول: كيف يجمع الله العظام بعد الموت؟؟
أي أنه جاء يجادل المؤمن بشبهة، يقول: أنا غير مقتنع بالبعث، يدعي -ذلك المجادل- أن الأمر ليس له علاقة بالشهوات، ولكن الأمر إنما هو شبهة عقلية، أقنعني كيف يجمع الله العظام بعد الموت؟!

تدَّعون يا أهل الإيمان أن هناك بعث _هذا على لسان المجادل_ فما الدلالة على البعث؟ بل الأدلة العقلية -كما يدعي- أن العظام تتفتت ويستحيل أن تُجمع مرة أخرى، فيقول: كيف؟ ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[القيامة:٣]، يظنون أن هذا وهم.

فجاءت هذه السورة لتخاطبه، استحضار الشخصية الذي تخاطبها السورة يساعدنا على فهمها، واستحضار -كما ستأتي في السورة- الدوافع النفسية التي بداخل هذا الإنسان والتي جعلته يتبنى هذا الرأي، أيضًا ستوضحها هذه السورة.

حسنٌ، السؤال الذي سألناه: ما علاقة النفس اللوامة بيوم القيامة؟ هذه النفس اللوامة من أدلة يوم القيامة! هذا اللوم الذي بداخل الإنسان من أدلة وجود يوم القيامة. كيف هذا الأمر؟

إن فكرة اللوم في الدنيا والعتاب والندم، فكرة التقصير وأن تلوم نفسك في أي أمر ديني أو دنيوي، مجرد وجود هذه الفكرة بيننا في الدنيا، مجرد أن العقل مستوعب معنى اللوم هو دليل على يوم القيامة.

كيف يكون هذا؟ فلنشرح كيف يكون، صلوا على النبي.

لو أن الحياة سدى كما يدعي ذلك الملحد، الحياة عبث ليس فيها أيَّة معايير ولا أيَّة قواعد ولا أيَّة قيم نرجع إليها، الحياة كلها عبث، جئنا عبثًا وننتهي عبثًا، وأن كل واحد منا يفعل ما يشاء من فجور، كل

واحد ينطلق كما يشاء، كل واحد يفجر أمامه كما يشاء، وأنه لا يوجد بعث ولا يوم قيامة ولا حساب ولا خلق ولا إله ولا أي شيء، هكذا يدعي...

إذًا لو أن الحياة أتت صدفة، والحياة عبث، وليس لها غاية، فلم فكرة أن يلوم الإنسان نفسه؟ لم يلوم نفسه على التقصير؟ ولم يوجد تقصير أصلًا لو أن الحياة عبث؟؟

فمثلًا لو انتسب إنسان إلى كلية لا تُجري اختبارات، فلا بأس إن نجح أو رسب كل الناس، الكل سواسية، من يريد الاستذكار فليذاكر ومن لا يريد فلا يفعل، وحينما يقول أحدهم للآخر: "أنت مقصر"، ما معنى مقصر؟ هل هناك صواب وخطأ كي تقول مقصر؟؟ وهل هناك امتحان كي تقول مقصر؟؟؟

إن ما يقيّم كلمة مقصر هذه هو الامتحان، أي وجود معايير نرجع إليها،

فوجود الإله -سبحانه وتعالى-، وجود الحق، وجود أخلاق ثابتة، وجود قيم ثابتة، وجود معايير ثابتة، وجود هذا الشعور بداخل الإنسان الذي شعر به ابن آدم الأول لما قتل وشعر بداخله بشعور معين، كل هذه دلائل أن هناك قطعًا يوم سيحاسب فيه الإنسان،

فحتى عندما يترك الإنسان محاسبة نفسه في الدنيا سوف يأتي هذا اليوم ليُحاسب فيه الإنسان. هذه النفس اللوامة، هذا اللوم، هذا العتاب، دليل أصلًا على وجود الله؛

لأن الحياة لو كانت كما قلنا عبثًا، لو لم يكن بها أخلاق ثابتة كما يدعي الملحدون. وبالمناسبة هناك الكثير من الإشكاليات التي تواجه الملحدين الآن، مثل مسألة خلق الكون، لكن قضية الأخلاق تعد من الإشكالات الكبرى أيضًا.

تقول للملحد أنت تنكر وجود الله؟؟

إذًا لم توجد أخلاق؟؟؟ لم يوجد صواب وخطأ؟؟؟!!

هو يقول ما من إله، ما من وحي، ما من بعث أو يوم قيامة، إذًا على أي أساس توجد كلمة صواب وخطأ؟؟

فمثلًا عندما نقول إن الكذب خطأ، لماذا يكون الكذب خطأ؟ فالمفترض أن يقنعنا الملحد لم يكون الكذب خطأ؟!

كلمة خطأ أصلًا ليس لها تعريف عنده، فكل فكره مادي، فكره فكر المصلحة؛ الشيء الذي يجلب له مصلحته فقط هو الصواب،

لكن عندنا قد يضحي الإنسان بنفسه ويخسر نفسه وماله أمام الناس ونسمّيه بطلًا وفائزًا، و يشعر الناس أنه إنسان على الحق، فلم نعظم مثل هذا الإنسان الذي ضحى؟

فمثلًا قد يرى أحدهم شخصًا يُؤذى، أو امرأة يُعتدى عليها في الشارع وهو رجل شهم فيجري ويضرب ذاك الشخص المؤذي، لكنه لا يستطيع إنقاذها ويموت دون إنقاذها، أو منع السرقة مثلًا، فهل نسميه إنسانًا فاشلًا؟ هو لم يحقق المنفعة المادية أن ينقذ شخصًا من السرقة، لكن ما زلنا نسميه بطلًا!

لم يعظم كل الناس هذا الشخص؟

الفطرة بداخلنا تخبرنا أن هذا عمل أخلاقي، فمن أين أتينا بهذه الأخلاق؟؟

إذًا فالأخلاق موجودة داخل الإنسان فهو يحب الخير ويكره الشر، وجود أخلاق ثابتة في العالم، الكل يحب الصدق، الكل يكره الكذب، وإن ذهبت إلى أيَّة مؤسسة مادية في بلد شيوعية تنكر وجود الله يقولون لك ممنوع الكذب، لم؟ كيف اعترفتم أن الكذب والغش خطأ؟؟ بل لم الغش خطأ؟...

إذًا فالكون ربنا –سبحانه وتعالى– خلقه بمعايير معينة نرجع إليها،

هناك قيم ثابتة، هذه القيم هي التي تجعل الإنسان يلوم نفسه،

إحساس اللوم الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم **(واعظ الله في قلب كل مسلم)** (١)، فهذا الشعور بداخلك الذي نسميه الضمير، ذاك الإحساس الذي يأتيك عندما تخطئ فتشعر بالحزن،

هذا الإحساس دليل على وجود يوم القيامة،

لكن انتبه؛ هذا الوازع قد يموت، يظل هذا الضمير يصرخ ويصرخ والإنسان لا يبالي،

فعندما يبتعد الإنسان... جرب؛ لن أقول لك أن تجرب معصية –لا يصح أن أقول لك أن تجرب معصية– بل

تخيل نفسك أول مرة ارتكبت بها معصية،! أو تركت فيها صلاة، بم شعرت؟ بنوع من ماذا؟؟؟

من ضغط القلب،

وإن كررت هذه المعصية كثيرًا أو تركت الطاعة كثيرًا يختفي هذا الضغط!!

فأول مرة نسيت فيها الصلاة كنت تشعر بقسوة في القلب، وأول مرة فعلت تلك المعصية كنت تشعر بضغطة في القلب، وعندما استمرأت الوضع وفعلت تلك المعصية كثيرًا لم تعد تشعر بشيء، لقد مات ضميرك ،

إذًا هم يريدون قتل نفسك اللوامة.

من يريد أن يفجر أمامه هذا يريد أن يميت نفسه اللوامة، لا يريد سماع كلمة لوم، لا يريد أن يعاتبه أحد، لا يريد من أحد أن يقول له: "أنت مقصر"، فيظل يتجاهل هذه النفس، ويفجر -والعياذ بالله- وينطلق في المعاصي حتى تموت هذه النفس، ويموت هذا الوازع، ويموت هذا الضمير بداخل الإنسان

فيفعل المعصية ولا يشعر بأي عتاب داخلي، بل حتى العتاب الخارجي الذي كان يذكره بهذا الوازع لا يريد أن يسمعه، وأي مؤثر خارجي كالموت أو الخسوف أو الزلازل، أي مؤثر خارجي يؤثر على هذا الوازع هو لا يريد أن يتعرض له، لا يريد أن يسمع؛

١- [عن النواس بن سمعان الأنصاري:] ضربَ اللهُ تعالى مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنْبَتَيِ الصراطِ سورانِ، فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعلى الأبوابِ ستورٌ مُرْخاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ: يا أيُّها الناسُ ! ادخلوا الصراطَ جميعًا ولا تَتَعَوَّجوا، وداعٍ يدعُو مِنْ فَوْقِ الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا مِنْ تِلْكَ الأبْوابِ قال: وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ، فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فالصراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ الْمُفَتَّحَةُ محارِمُ اللهِ تعالى، وذلِكَ الدّاعِي على رأسِ الصراطِ كتابُ اللهِ، والداعِي مِنْ فوقٍ واعظُ اللهِ في قلْبِ كُلِّ مسلمٍ

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٣٨٨٧ • صحيح • أخرجه الترمذي (٢٨٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٣)، وأحمد (١٧٦٣٤) •

إذًا فهذه النفس وضعها الله -عز وجل- بداخلنا لنتذكر هذا اليوم... أنت اليوم تحاسب نفسك وغدًا يحاسبك الله،

أنت اليوم تسأل نفسك لم فعلت كذا، وغدًا يسألك ربك لم فعلت كذا؟

الذي يكثر من حساب نفسه في الدنيا لا يحاسبه الله يوم القيامة، والذي أعرض عن لوم نفسه وعن محاسبتها في الدنيا يعاتبه الله -عز وجل- يوم القيامة.

فإن أراد الإنسان أن يعرف هل سيُحاسب يوم القيامة أم لا على كل شيء؟ فليسأل نفسه الآن ماذا أفعل في الدنيا؟ إن كنت معرضًا متجاهلًا متغافلًا أفعل ما أشاء، أظن الحياة سدى، فهذا سيحاسب على كل شيء، على الصغيرة والكبيرة {مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً } -قبل الكبيرة حتى- {لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}

(سورة الكهف :٤٩)

في هذه الدنيا أسال نفسي عن كل فرض ضيعته، لماذا؟ وأحاسب نفسي وأتوب وأندم وأعود إلى الله -عز وجل- يخفف هذا اللوم عني الحساب يوم القيامة.

نسأل الله أن يخفف عنا الحساب وأن يدخلنا الجنة بغير حساب ولا عذاب.

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (سورة القيامه :١,٢)

إذًا ذكرنا أن قضية اللوم أصلًا تدل على وجود الله سبحانه وتعالى، هذه الفطرة التي وضعها الله عز وجل بداخلنا لنتذكر يوم القيامة، لكي يُحاسب الإنسان نفسه...

إذا لم تكن قضية اللوم حاضرة في حياة الإنسان، ويفعل المعصية ولا يشعر بأي عتاب داخلي فيكون والعياذ بالله أشبه بالأنعام،

تجد الأنعام تفعل الأشياء ولا تشعر بالندم، يفترس حيوان حيوانًا آخر ولا يبكي ولا يندم ولا يعاتب نفسه، بل يفعل هذا من أجل أن يعيش. هكذا هناك أناس والعياذ بالله يريدون حياة كحياة الأنعام، قال عنهم ربنا سبحانه وتعالى

{ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا }(سورة الفرقان٤٤)

وضحنا علاقة النفس اللوامة بيوم القيامة، وأهمية المحافظة على هذه النفس لترتقي بكثرة اللوم إلى أن ترقى لنفس مطمئنة، نعم هناك نفسٌ مطمئنة،

ولكن كيف نصل إلى النفس المطمئنة؟ باللوم المستمر لأنفسنا، نعاتبها لمَ فعلتِ كذا، لمَ ضيعتِ قيام الليل، لماذا لا تنفقين؟ لماذا لا تتصدقين؟ لماذا لا تصومين؟ عندما تُعاتب نفسك دائمًا فتجعلها تُحافظ على هذه الطاعات، بعد فترة تتعود على الطاعة، تصبح الطاعة بالنسبة لها سهلة مُيسرة، حتى تصل لمرحلة الاطمئنان بالطاعة وهذه هي النفس المطمئنة التي ينادي عليها ربنا عز وجل

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}(سورة الفجر :٢٨)

كان راضيًا بالطاعات، كان راضيًا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، فينادي عليه ربنا عز وجل {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً*فَادْخُلِي فِي عِبَادِي*وَادْخُلِي جَنَّتِي}(سورة الفجر ٢٨,٢٩,٣٠)

للأسف أصبحنا نُضطر لذكر قضية الإلحاد كثيرًا لكثرة ما نسمع أناسًا يقولون: صديقي لديه شكوك، وللأسف الموضوع في قمة الهشاشة، ليس هناك مبنى متكامل للإلحاد،

أي شخص يطرح فكرته عن الإلحاد هو نفسه كملحد تجد فكره هشًا تمامًا، ولا سيما في قضايا الأخلاق،

من أكثر ما يفضح الملحدين مسألة الأخلاق،

عندما تسألهم لماذا يكره العالم كله صفة الكذب؟ لماذا يلوم العالم كله على الغش؟ لا يجيبون

وبعضهم قال: لا يوجد ما يُسمى بالأخلاق، ولا يعترف باحترام الكبير، ولا بحق الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، بل إنه يرى ضرورة التخلص منهم!

وكذلك من يتخطى سن الستين ويصبح غير منتج، فهم يريدون تطبيق منهج البقاء للأقوى، حتى يبرروا أفكارهم الغير مقبولة.

وسبحان الله تجد منهم من مات مجنونًا في النهاية

أهلكه الله العزيز وأصبح عبرة. نيتشه نفسه لو عاملناه بنفس المنطق الذى كان يدعو إليه ستكون النتيجة أن نتخلص منه لأنه غير منتج للمجتمع، تخيل!!!

قضية الأخلاق قضية هامة، وهذه النفس دليل على وجود الله سبحانه وتعالى، دليل على يوم القيامة، هذه النفس التي استعصت على فهوم البشر هي من خلق الملك سبحانه وتعالى

{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }(سورة الشمس :٧,٨)،

هذه النفس بتقدير من الله عز وجل قد تصل لأعلى عليين، وهذه النفس إن تركها الله عز وجل وأعرض الإنسان عن تزكيتها تهبط لأسفل سافلين، هذه النفس عجيبة فأقسم ربنا سبحانه وتعالى على هذه النفس

{وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}(سورة القيامة:٢)

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ} السورة الآن تخاطب ذلك الشخص الذي توقف عن لوم نفسه، لم يعد يعاتب نفسه،

أصبح يعيش الحياة عبثًا، يعيش الحياة سُدىً، يستيقظ في الثانية ظهرًا، ويفعل ما يحلو له، ثم ينام في أي وقت، لا صيام ولا صدقة ولا صلاة، يفعل ما يريد، فتخاطبه هذه السورة

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ }(سورة القيامة:٣)

الظاهر من سياق الآيات أن هذا الشخص أتى بشبهة، ظاهريًا تبدو وكأنها شبهة أو هو يعتقدها هكذا وأصبح كثيرين الآن يقولون: أنا لدى شبهة في الدين!

وعندما تسمع شبهته تجده يقول: أنا لست مقتنعًا بأن للكون خالق، هذه هي شبهته، يقول آخر أنا غير مقتنع بأن هناك إله وأنه قادر على جمع العظام مرة أخرى.

يقول الله عز وجل:

{ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ *بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ }(سورة القيامة : ٣,٤,٥)

ما علاقة هذه الآيات ببعضها؟؟

الله سبحانه وتعالى يرد عليهم أنتم تدّعون أن الله تعالى غير قادر على جمع العظام!

كان المتوقع أن تقول الآية: بلى قادرين على أن نجمع عظامه.

هو يُنكر جمع العظام فالآية كان يمكن أن تثبت له جمع العظام، ولكن جاءت {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ } تسوية البنان والمفاصل الصغيرة،

أي أن قدرة الله عز وجل ليست فقط أنه قادر على جمع العظام الطويلة مثل عظام الفخذ والساق والذراع، الله قادر على جمع هذه العظام وعلى جمع المفاصل الصغيرة ووضعها في مكانها وتسويتها كما فعل أول مرة،

فكأنه يقول: يا من جئت بهذه الشبهة ارجع و تدبر في نفسك، حرّك مفاصلك، تأمل في أمر نفسك، واسألها لماذا لم يضع الله عز وجل العظام في اللسان مثلًا؟ كيف يستطيع الإنسان أن يبصر بهذه العين؟ كيف يستطيع الإنسان أن يسمع؟ راجع نفسك..

{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ}(سورة الروم :٨) ...

{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}(سورة الذاريات :٢١)

نفسُ الإنسان كتفْسِ كفيلة بإثبات يوم القيامة، وأيضًا البدن كفيل بإثبات يوم القيامة، فثُنائية الإنسان: البدن والنفس كفيلة بإثبات يوم القيامة، لا يحتاج حتى إلى النَّظر في الكون، مجرَّد أن ينظر الإنسان إلى نفسه.

لذلك أحد معاني {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}(سورة القيامة :٤) ؛ قيل من معاني التَّسوية ليس فقط الجمع، أنَّ ربَّنا –سبحانه وتعالى– قادر على أن يجعل كفَّ الإنسان في سِوى واحد كخُفّ البعير،

الكفّ لنا ليست في سِوى واحد، بل فيها أصابع ومتفرّقة عن بعضها وتتحرك ومختلفة في الطول وفيها ثنيات،

هذه يد الإنسان، ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: كنت قادرًا على أن أجعل هذه اليد كخف البعير في

سوى واحد؛ {نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} أي أجعلها سواءً مستوية، أنا الذي جعلتها لك في هذه الصورة أفلا تشكر هذه النعمة؟!

كنت قادرًا على أن أجعل يدك كالأنعام لكنني فضَّلتك على الأنعام وجعلت لك هذه اليد بهذه الطريقة لتمسك القلم ولتكتب بها ولتتعلم، أفلا تشكر هذه النعمة!!!

هذا أحد معاني الآية، والمعنى الآخر الذي ذكرناه في البداية، ومَالَ إليه الكثير من المفسرين: {بَلَى قَادِرِينَ} أي يوم القيامة ليس فقط على أن نجمع العظام الطويلة بل حتى المفاصل الدقيقة، ويركّب كل عظمة وكل مفصل في مكانه، الله –سبحانه وتعالى– قادر.

ثم أعرض القرآن عن إجابة هذه الشُّبهة، الشبهة كان جوابها بسطر واحد أو أقل من سطر، آية واحدة، فهو يقول: الله ليس قادرًا على جمع العظام، الجواب: بلى الله قادر على تسوية البنان.

تكملة إجابة الشبهة في آخر السورة، انظر كيف يُجيب القرآن على الأسئلة؛ تكملة إجابة السؤال من أول:

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً..}(سورة القيامة)،

ذِكر مراحل الخلق جاء في آخر السورة دليل على قدرة الله –سبحانه وتعالى– على البعث، هذا الدليل العقلي؛ أن الإنسان بعدما كان نطفة ومنيًّا يُمنى ثم علقة ثم كيف فصَّل وجعل الزوجين الذكر والأنثى، الذي فعل ذلك قادر على البعث مرة أخرى، هذه الإجابة العقلية، الدليل العقلي جاء في آخر السورة.

قد يقول قائل: أنت تقول الدليل العقلي... أليس الدليل العقلي يفترض أن يكون من خارج القرآن؟ وأنَّ هناك دليلًا من القرآن ودليلًا من العقل؟ ما معنى أن الدليل العقلي جاء في آخر السورة؟

آيات القرآن أصلًا في حد ذاتها فيها أدلة عقلية تصلُح أن نتناقش بها، يعني أنت حين تتكلم مع شخص منكِر للقرآن ويقول لك: أعطني دليلًا عقليًا، فتقول له: ربُّنا يقول في القرآن عندنا كدليل عقلي في الكون

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}(سورة الأنبياء : ٢٢) ؛

أي أن الكون لا يصلُح له غير إله واحد، فيقول لك: لا، أنا أريد دليلًا من العقل، ليس من القرآن، تقول له: ليس لك شأن بمن قائِل هذه العبارة، هذه جملة مناسبة للعقل، فهذا دليل عقلي.

إذًا وردت في القرآن قضايا عقلية منطقية أصلًا يصلح الاحتجاج بها، فمن ينكر يقول لك: لا يصلح أن تستدل بالقرآن، وأنا أنكر القرآن، تقول له: ليس لك شأن بمن قالها،

هل هذه الجملة غلط عقليًا؟ هل أنت عندك رد منطقي أن هذه الجملة خطأ؟

لذلك الأدلة العقلية منها ما ورد في النَّقل -يعني في القرآن والسنة-، ومنها ما يستنبطه الإنسان.

إذًا هنا القرآن أجَّل النقاش؛ كيف تتناقش مع الشخص المُعرِض؟ الذي يعيش حياة اللَّامبالاة؟

ليس من الصَّواب أن ترد على كل الشبهات،

الصواب أنه محتاج ليقظة، محتاج لهزَّة عنيفة، محتاج لطَرَقَات، محتاج لتخويف قبل الإجابة العقلية؛

في آخر السورة بعدما أخافته السورة، قالت له: لو أنت تريد دليلًا وردًا على الشبهة فالرد هو كذا وكذا وكذا.

{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}(سورة القيامة: ٤)؛ ربنا يقول لنا: أن هذا الإنسان الذي يدَّعي أن عنده شبهات، القضية الحقيقية ليست شبهات ضد الدين أبدًا، ولا شبهات ضد وجود ربنا؛ الإشكالية الأساسية عنده أنه يريد أن يفجُر؛ {بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}(سورة القيامة:٥)،

القضية قضية شهوة ليست قضية شبهة، القضية الأساسية أن هناك شهوة في داخله، هو لا يريد أن يسمع كلمة "حرام"، لا يريد أن يسمع كلمة "قال الله تعالى"، لا يريد أن يسمع كلمة "القيامة، البعث، اليوم الآخر.."، هو لا يريد أن يسمع، هو يريد أن يفجُر -والعياذ بالله-، مُسرف على نفسه في المعاصي.

تقول له: أنا أريد أن أكلمك، يقول: لا أريد أن أسمع، لا يريد أن تكلمه،

{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ}(سورة القيامة:٥)؛

هل رأيت ماسورة تنفجر، هو يعيش في حالة من الفجور في المعصية -والعياذ بالله-، السورة تخاطب هذا الشخص الذي يدّعي دائمًا أنه يفكر بطريقة عقلية، لا يدَّعي أنه صاحب شهوات،

يقول لك: لا أنا لست مقتنعًا أن هناك يوم قيامة!!، ليس معقولًا أن ربنا قادر على جمع العظام!

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}(سورة القيامة :٣)!!!

ربُّنا يقول أن الدَّافع الرئيسي لإنكار يوم القيامة هو حب الشَّهوة،

كما ورد عن كثير من السلف في معنى {لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}؛ يتبع عقله ويفعل ما يشاء،

لا يريد أن يسمع: "حلال وحرام"، لا يريد أن يسمع عن يوم القيامة، لا يريد أن يُؤمر ولا يُنهى، كل هذه أقوال وردت في معنى {لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}، لا يريد أن يسمع أي شيء،
تقول له: سأكلمك عن ربنا، يقول: لا أريد، واحد صاحبه مات لا يريد أن يعيش لحظات الموت هذه، يريد أن يتجاوزها وينساها.

أذكر لما أحد أصدقائي مات فجأة، أظن قبل أكثر من عشر سنوات، في لحظات الدفن كان موقفًا صعبًا جدًا أنَّ أحد أصحابي يموت فجأة ونحن لا زلنا في الكلية، وكان غنيًا جدًا، كان يلبس أفخر الملابس،

فكان مشهد الغسل ومشهد تجريده من الملابس وأن تُوضع الملابس في كيس وخرجت من المغسلة، كلنا أمام المغسلة كنا في حالة انهيار، ننظر للملابس التي كان الناس ينظرون إليها! الحذاء والساعة الجميلة كل هذا وُضِع في كيس والآن هو يُكفَّن!
كان مشهدًا مؤلمًا، فمنا من لم يتمالك نفسه، والمشهد كان صعبًا.

فأنا خرجت فوجدت صاحبًا لي في الخارج، وكان صديقًا له جدًا، جالسًا في السيارة، شغَّل المسجل ويشرب سجائر! هو يريد أن تمر هذه اللحظات، لا يريد أن يعيش هذه اللحظة؛ لأنه لو عاش اللحظة هذه سيستفيق، لو ترك نفسه يعيش اللحظة هذه ويسأل: ما معنى الموت؟ وماذا بعد الموت؟ ولماذا نحن هنا؟ وما معنى الروح؟ ولماذا الروح ذهبت؟ وأين ذهبت؟ لو أخذ يسأل نفسه صادقًا سيصل.

لكن الإنسان يريد لهذه اللحظات أن تمر،
يريد أن يشغل نفسه بعيدًا عنها، وهذه اللحظات ممكن أن تكون رغمًا عنه، مثل المرض أو الموت أو لحظات شخص يكلمه وهو لا يريد أن يسمع.

فقال ربنا سبحانه عن هذا الشخص: {بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}(سورة القيامة:٥) عندما يفجر يتعامل تَعامُل المستبعد المستهزئ {يَسْـَٔلُ أَيَّانَ}(سورة القيامة:٦) سؤال للبعيد، يشعر أن يوم القيامة بعيييد جدًا.

فقد بدأ بشبهة وبدأ يسخر، تقول له: هناك يوم قيامة، يسخر ويقول لك عندما يأتي يوم القيامة أخبرني؛ يسخر!!!

مثل أن تقول لشخص هناك اختبار فيقول لك عندما يأتي أخبرني؛ يسخر!!!

كيف رد القرآن على هذه السخرية؟ لم يقل له حقًا هناك يوم قيامة، لا...
وإنما تعامل معه على أنه أمر واقع، إن هذا الذي تنكره أمر واقع وستُفضَح في هذا اليوم.

كما ذكرنا أن الطريقة المعهودة لإجابة القرآن مع المستهزئ المنكِر، أنه عندما يقول لك ليس هناك اختبار لا تقول له هناك اختبار، إنما تقول له: يوم الاختبار سترسب و تُعاتَب ويُسخَر منك...

أنت تخبره بالأحداث التي تحدث في الاختبار، لا تثبت له وجود اختبار.

القرآن بدأ {يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ}(سورة القيامة:٦) وفجأة ينتقل السياق إلى يوم القيامة {فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ}(سورة القيامة:٧) إذا الفجائية، برق البصر!

هو الآن يستهزئ،
القرآن استعمل لفظ فيه خوف، عينه تبرق من الخوف؛ أي أن القرآن ينقله من حالة نفسية المستهزئ اللامبالي لحالة الخوف والفزع، انظر كيف يضغط القرآن على النفس!

لا أعتقد أن أي نفس تستسلم للقرآن وتترك نفسها له إلا وتُؤمن به، أي نفس بشرية إنْ تركت نفسها للقرآن فلها أمر من اثنين إما أن تُؤمن أو أن تجحد، أي توقن أن هذا من عند الله ثم تجحد، لابد؛

{أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ}(سورة الملك:١٤) الذي تكلم بالقرآن هو الذي خلق الإنسان ويعلم نقاط ضعفه.

القرآن انتقل مباشرة إلى لحظات الخوف... تأملوا معي، الآيات هنا كلها تتكلم عن مشاهد خوف وفزع، {بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ }(سورة القيامة:٧,٨,٩) ويلقيان في جهنم.

كان منذ قليل يقول {أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ} الآن {يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ} أيان المفر؟؟؟ لا، بل يقول {أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ}(سورة القيامة :١٠) بدأ يسأل السؤال المتعجل،

بسرعة أين أهرب؟؟؟؟!!

أين أذهب؟؟؟؟!!

عندما بدأ يوم القيامة.

انظر كيف نقله القرآن من حالة اللامبالاة ..سُدى ..عبث

..يستهزئ، لحالة الفزع والرعب وبرق البصر ويسأل سؤال متعجل

{أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ} ويُرَد عليه، انظر كيف انعكس الأمر، "كلا" هو في الدنيا يتكلم معك بلامبالاة وسخرية وأنت متحفز، جعله يوم القيامة هو المتحفز ويُقال له {كَلَّا لَا وَزَرَ}(سورة القيامة :١١) ليس هناك مهرب،

لا وزر: أي لا مهرب، وقيل الوزر: المكان المرتفع من الأرض فيمكن للإنسان أن يختبئ فيه، لكن يوم القيامة أرض بيضاء نقية ليس فيها {لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا}(سورة طه :١٠٧)

ليس فيها أي صعودات أو نتوءات فيُختبأ فيها.

ف{كَلَّا لَا وَزَرَ} ليس هناك مكان تختبئ فيه يوم القيامة، {إِلَىٰ رَبِّكَ} الذي أعرضت عنه، الذي لم تشغل بالك يومًا وتتساءل من الذي خلقني، ما حق الله عليّ

{كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٖ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ }(سورة القيامة:١١,١٢)

من المعاني اللطيفة التي قيلت في {وخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ}(سورة القيامة ٨,٩) أن الإنسان كان يومه؛ النهار مثل الليل، كان يعيش حالة لامبالاة

فيأتي أيضًا يوم يُجمع فيه الشمس والقمر، تنتهي قضية الليل والنهار التي لم يكن يشعر بها أصلًا، كان لا يشعر بقيمة الزمن مثلما أقسم ربنا _سبحانه وتعالى_ بالعصر .

{إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ}(سورة القيامة :١٢) انتهى الأمر؟ لا... أنت ستُحاسب على كل شيء، يُنبأُ، هو كان يفجر أمامه وكان يفعل ما يريد، معاصي سر ومعاصي جهار... يفعل ما يشاء ويفجر ويفعل كل ما يشاء من المعاصي.

{يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ}(سورة القيامة:١٣)

قيل كل عمل عمله وعمل تركه كان ينبغي أن يفعله؛ أي كان ينبغي أن يصلي فأخَّر الصلاة وأخّر الزكاة وأخّر الصيام، يُحاسب على هذا التأخير.

وقيل {وأخّر}: تعني عمل أعمال، سن في الحياة سُنة تُفعل بعد موته،

كما قال النبي ــصلى الله عليه وسلمــ "من سنَّ في الإسلام سنة حسنة... ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة"(١)

أي مات وتُكتب له الحسنات، أو تُكتب له السيئات فيوم القيامة يُقدم بما قدَّم؛ أي عمل أثناء حياته، وبما أخر؛ أي بما يُكتب عليه بعد مماته...

فهناك سيئات جارية وهناك حسنات جارية.

فالذي سنّ سنة سيئة أو معصية أو بدعة أو أبعد الناس عن الشرع أو أفسدَ في الأرض من بعد موته؛ مثل أتاتورك في تركيا عندما أسس العلمانية لايزال يحملُ هذا الوزر في تركيا، هو من أسس هذا، هو الذي منع الأذان وبدّل اللغة العربية فيحمل وزر ذلك كله.

فكل من فعل أشياء واستمرت هذه المصائب وتبعاتها بعد موته يحمل هذه الأوزار، وكذلك عكس السيئات؛ الذي يفعل الطاعات، الذي يُعلم العلم ويبقى هذا العلم بعد موته تكتب له الحسنات.

{يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٖ} كما أن الله ــعز وجلــ أحاط بالعظام وجمعها فقد أحاط بالأعمال وجمعها {يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ}.(سورة القيامة:١٣)

هو لا يحتاج أن يُنبأ، أي يوم القيامة لا يحتاج أن يقول له أحد أنت أخطأت، هو يعلم أنه مخطئ حتى لو كان منكرًا.

كثير من الناس الذين يناقشون، الذي يقول لك أنا لست مقتنعًا أن كذا حرام، هو يعلم في نفسه أنه حرام، أقول كثير من الناس وليس كل الناس.

١- [عن جرير بن عبدالله:] مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسَنةً فلهُ أجرُها، وأجرُ مَنْ عمِلَ بِها من بعدِهِ، من غيرِ أنْ يُنقَصَ من أُجورِهِمْ شيءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيِّئةً فعليهِ وِزرُها، ووِزرُ مَنْ عمِلَ بِها من بعدِهِ، من غيرِ أنْ يُنقَصَ من أوْزارِهِمْ شيءٌ

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٦٣٠٥ • صحيح •

{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}(سورة القيامة: ١٤:١٥)

ما معنى بلِ الإنسانُ على نفسه بصيرة؟؟؟

بمعنى أن هذا الإنسان حينما يُنبأ بما قدّم وأخر، لو أنه أنكرَ يوم القيامة واعتذر،

وظل يعتذر ويقدم الأعذار يوم القيامة، يقول: يارب أنا لم أكن أعلم، أنا لم يقل لي أحد،

{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} أي أن الإنسان يشهد على نفسه، جوارحه تشهدُ عليه،

عندما يقول: يارب أنا لم أكن أعلم، يُختم على فمه

وتتكلم الأذن: يارب هذا كذاب، سمعنا هذه الآية، سمعنا هذه الموعظة، اليد تقول: يارب كان متعمدًا لفعل المعصية، القدم تنطق: يارب سار متعمدًا لفعل المعصية، البصر يتكلم: يارب لقد نظر متعمدًا إلى الحرام... إذًا { بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} من معانيها أن جوارح الإنسان تشهدُ عليه،

وقيل {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}(سورة القيامة:١٤) أي هو من داخله يعلم الحرام، هذا الوازع، هذه النفس اللوامة بداخله، تعلم أن هذا حرام، لكنه أصرّ وأعرض.

{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}(سورة القيامة:١٥) ما معناها؟؟

يوجد قولين لأهل العلم حسب معنى كلمة معاذير... بعضهم قال: معاذير جمع معذرة أي أنك تعتذر، فكلمة {ولو ألقى معاذيره}، أي أن الإنسان سيحاسب يوم القيامة على معاصيه، حتى لو حاول أن يقدم أعذارًا واهية،

توجد أعذار واهية، مثل إبليس عندما سُئل: لمَ لمْ تسجد لمن خلقت بيدي؟ ربنا قال له: لماذا لم تسجد؟ قال: يارب خلقتني من نار وخلقته من طين، هذا عذر واهٍ...

فمهما اعتذر الإنسان بهذه الأعذار الواهية لن تُقبل منه.

هناك معنى آخر خطير جدًا ورد عن بعض السلف: أن معاذير جمع معذار، والمعذار هو الستارة بلغة اليمن، فقالوا {ولو ألقى معاذيره} أي ولو أرخى الستور، أي أنه يعمل المعاصي سرًا.

{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ } أي ستشهد على الإنسانِ جوارحه يوم القيامة،

مهما حاول الاختباء والاختفاء أثناء المعصية، ستشهد على الإنسان جوارحه يوم القيامة، مهما حاول ذلك الإنسان أن يختبئ، وأن يُلقي الستور، سيُفضَح إن لم يتب، وإن لم ينته، وإن لم يَلُم نفسه.

إذًا { بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ } (سورة القيامة : ١٤,١٥) معناها إما مهما قدم الأعذار أو مهما أرخى الستور.

ثم تأتي آية عجيبة! عملت إشكالية عند كثير من المفسرين، تحس أن هناك انقطاعًا في السورة فجأة!!!

وهي {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}(سورة القيامة:١٩:١٦) هذه الآية تخاطب من؟ النبي صلى الله عليه وسلم، هذا رأي جمهور المفسرين أن الآية تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم بعد ذلك {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}(سورة القيامة:٢٠) الآية تخاطب من؟ الشخص المعرض الذي ظل يقول {أيان يوم القيامة}(سورة القيامة:٦)

بمعنى أننا لو حاولنا أن نضع أيدينا على آية { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ } إلى آية { إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } أي من الآية ١٦ إلى الآية ١٩ ونقرأ هكذا { بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ }(سورة القيامة١٤,١٥)

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ }(سورة القيامة ٢٠) تشعر أن السياق متوافق، فهذه الجملة المقتطعة سببت إشكالية!

لماذا جاءت هذه الآيات واقتطعت السياق؟ لماذا ربنا سبحانه وتعالى وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، فجأة يقول له {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ}(سورة القيامة:١٦) أي بالقرآن أثناء نزول جبريل عليه بالقرآن.

النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه على حفظ القرآن، كان يعجل بالحفظ، جبريل يقرأ القرآن، فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن ينتهي جبريل من القراءة، كان يُحرك لسانه بالقرآن، فكان أحيانًا يتداخل عليه القرآن، فربنا قال له {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}(سورة القيامة:١٦) لا تقلق {إِنَّ

عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}(سورة القيامة:١٧) ربنا سبحانه وتعالى قادر على جمع القرآن في صدرك،

كل المطلوب منك {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ} فإذا قرأه جبريل، {فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}(سورة القيامة:١٨)
وقيل من معاني فاتبع قرآنه أي: اتبع حلاله وحرامه، لاتكن كالذي يُريد أن يفجر أمامه، لا يُريد أن يسمع الحلال والحرام، {فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}.

{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}(سورة القيامة:١٩) بعد أن تقرأه تكفل الله عز وجل بتبيينه، وحفظه ، فلا تنشغل أثناء قراءة جبريل بتحريك لسانك.

هذا الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم فيه كما قلنا كأنها جملة قطعت السياق فجأة

ثم " كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ.." وهي خطاب للمُعرض "{ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ }(سورة القيامة ٢٠) "
وسمى ربنا سبحانه وتعالى الدنيا هنا العاجلة،

لماذا جاءت هذه الآيات في هذا السياق؟؟

حقيقةً المفسرين اجتهدوا اجتهادات رائعة،
أوسع من تكلم في المسألة وجمع الأقوال لمن يريد أن يرجع إليها ست أو سبع أقوال الإمام الرازي في التفسير،
كثير من المفسرين جمع أقوالًا لكن أوسع من رأيته تكلم وجمع هذه الأقوال **الإمام الرازي**، لن نتمكن من ذكر هذه الأقوال، لكن ممكن أن نذكر قولين أو الذي أنا أميل إليه،

ورد حديث في السنة أن **سبب نزول الآيات**؛
أن سيدنا جبريل كان ينزل يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن،
فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يتعجل، فربنا قال له{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }
فلذلك بعض المفسرين قال: نترك الموضوع على ظاهره،
إن كانت سورة القيامة تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، سورة القيامة كانت تنزل وسيدنا جبريل وهو يقرأ وسيدنا جبريل يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم سورة القيامة
فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحرك لسانه بسورة القيامة فتوقف جبريل وقال له بأمر من الله عز وجل: {لا تحرك به لسانك...}(١)

ثم عاد إلى تكملة السورة، بالضبط مثلما لو أنت تُعلم واحد شيئًا ما تقوله أكتب كذا، أكتب كذا، ثم تقول له لا تنشغل بغير الكتابة، ثم تستأنف أكتب كذا وكذا.

١ _ [عن عبدالله بن عباس:]كانَ النبيُّ ﷺ إذا نَزَلَ عليه الوَحْيُ حَرَّكَ به لِسانَهُ - ووَصَفَ سُفْيانُ - يُرِيدُ أنْ يَحْفَظَهُ فأنْزَلَ اللَّهُ: {لا تُحَرِّكْ به لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بهِ} . البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٤٩٢٧ • [صحيح] •

الذي يسمع هذا الحوار دون أن يعلم الحدث،
سيتعجب من كلمة لا تنشغل بغير الكتابة، **ما علاقتها؟**

لكن عندما يعرف ما الذي حدث في المنتصف وأنت تُملي عليه، يفهم لماذا قال له... فأبقاها الله عزَّ وجل كما هي في سورة القيامة حتى كلما يعود إليها النبي صلى الله عليه وسلم يتذكر هذا المشهد فلا يعود إلى تحريك لسانه أثناء تلقي الوحي. هذا هو جواب لماذا جاءت في المنتصف،

لكن لماذا تحديدًا في سورة القيامة؟ ولماذا قضية التعجُّل أتت في سورة القيامة؟

هذا من الممكن أن يحدث في سور أخرى، فقيل أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم من شدَّة لهفته وتعجُّله على إنقاذ قومه من النار لما سمع الآيات، برق البصر وخسف القمر والإنسان يبحث عن المفر وكلا لا وزر،
يريد أن يحفظ حتى يذهب مسرعًا إلى قومه ليُخبرهم ويُنذرهم،

من شدَّة حرصه صلى الله عليه وسلم عليهم، فيقول الله تعالى له لا تعجل كل شيء بقدر، احفظ القرآن، انتظر حتى يكتمل القرآن، حتى يكتمل بيانه ثم اذهب إليهم،

هؤلاء المعرِضون يُحبُون العاجلة، القضية ليست قضية أنَّك تنذرهم، هؤلاء في قمة الإعراض
{كَلّا بَل تُحِبّونَ العاجِلَةَ}(سورة القيامة:٢٠) يقول الله للنبي صلى الله عليه وسلم هناك شخصيات وصلت لدرجة من الإعراض أنَّ الإنذار لا ينفع معهم فلا تترك القرآن لأجلهم.

نجد هنا رسالة للداعية أنَّه يحتاج أن يوازن بين العبادة والدعوة، ألا يعجل من العبادة للدعوة ولا يعجل من الدعوة للعبادة.

ما معنى هذا الكلام؟ سورة طه وردت فيها العجلة مرَّتين، مرَّة مع سيدنا موسى عندما تعجَّل عندما كان مع قومه وأراد أن يتجه للعبادة بمفرده فقال له ربنا سبحانه وتعالى {وَما أَعجَلَكَ عَن قَومِكَ يا موسى}(سورة طه٨٣)

لماذا تتعجل؟؟

قال: {وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضى ۝قالَ فَإِنّا قَد فَتَنّا قَومَكَ مِن بَعدِكَ}(سورة طه:٨٤,٨٥)،

لم يكن عليك أن تتعجل وتتركهم،

فالإنسان عندما يكون في مقام دعوة لا يترك الدعوة إلى العبادة،
وعندما يكون في مقام عبادة مثل الاعتكاف لا يصح أن يعجل ويترك، أو في قيام الليل يعجل ويترك هذه الأوقات التي فيها الزاد، ويعجل إلى الدعوة،

مثل النبي صلى الله عليه وسلم في سورة القيامة، وأيضًا في سورة طه نهاه ربنا سبحانه وتعالى {وَلا تَعجَل بِالقُرآنِ مِن قَبلِ أَن يُقضى إِلَيكَ وَحيُهُ}،(سورة طه:١١٤)

عندما تتم مرحلة الاعتكاف أو مرحلة البناء والزاد اخرُج للناس فتخرُج وأنت مكتمل البناء، لا تخرُج وأنت مبتسر، غير مكتمل البناء، انتظر حتى يكتمل البناء ثم اخرج.

ذُكِر أقوال كثيرة في سبب وجود هذه الآيات، لكن أيضًا وجود هذه الآية لها سر رائع سوف نختم به عندما نتكلم عن موضوع سورة القيامة، وجود هذه الآية أيضًا له إشارة رائعة في فهم سورة القيامة وعمَّا تتحدث، لو نريد الوصول إلى ما هو موضوع سورة القيامة –فليُذكّرني أحد إذا نسيت في آخر السورة عندما نتحدث بعد الانتهاء من التفسير التحليلي لسورة القيامة–، إذًا ما هو الموضوع العام لسورة القيامة، لو أردنا أن نصل لموضوع واحد ما هو؟ هذا سيكون في آخر السورة إن شاء الله.

(لا تُحَرِّك بِهِ لِسانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ ۝إِنَّ عَلَينا) ربنا سبحانه وتعالى أوجب على نفسه سبحانه وتعالى جمعه وقرءانه، الله قادر على جمع القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وسلم { فَإِذا قَرَأناهُ }، المطلوب منك { فَاتَّبِع قُرآنَهُ }

أحيانًا الإنسان ينشغل بالشيء الذي لا قدرة له عليه ويترك الشيء المطلوب منه،
مثلًا أحيانًا الإنسان منشغل بنصرة المسلمين في العالم ويترك الشيء المفروض عليه عمله، وهذه تكفل الله بها لكن أنت مطلوب منك سبب معين وعمل معين تقدمه،

فيقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم لا تنشغل بجمع القرآن في صدرك أنا أفعل لك ذلك لكن أنت مطلوب منك اتباع قرآنه، خذ بهذا السبب فإذا قرأناه، الأمر الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم هنا: لا تعجل واتبع...
لا تحرك به لسانك لتعجل... واتبع قرآنه
{ فَإِذا قَرَأناهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ۝ثُمَّ إِنَّ عَلَينا بَيانَهُ۝كَلّا }(سورة القيامة١٨:١٩)، لماذا هؤلاء الناس لا يستجيبون لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحبهم ويفزع إليهم لينذرهم، انظر النبي صلى الله عليه وسلم من حبه لهم في منتصف السورة يريد أن يذهب ويركض إليهم حتى يبلغهم القرآن.

تخيل أنَّك مثلًا تسمع درس والدرس يتكلم عن النار وفي منتصف الدرس تذكرت صاحبك الذي لا يصلي فتركت الدرس وذهبت مُسرعًا حتى تُكلم صاحبك من شدة حبك له، فهذا ما حدث هنا في منتصف السورة وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يفزع إلى الناس ليكلمهم عن الله
فيقول له ربنا سبحانه وتعالى: أن المانع الأساسي من عدم استجابة هؤلاء أنَّهم يحبون العاجلة، مستعجل يريد الشهوات العاجلة، لا يريد أن ينتظر ثواب الآخرة {كَلّا بَل تُحِبّونَ العاجِلَةَ}(سورة القيامة:٢٠)

وهنا ربنا سبحانه وتعالى لم يقل: كلا بل تحبون الدنيا أو الحياة الدنيا،
ولكن سمَّاها ربنا سبحانه وتعالى "العاجلة" حتى يُبيّن أنَّهم عندهم مرض العجلة، ليس فقط أنَّهم يُحبون العاجلة ولا يفكرون مطلقًا في الآخرة {وَتَذَرونَ الآخِرَةَ}(سورة القيامة:٢١) يذر الشيء أي كأنَّه يُلقيه وراء ظهره أي لم يسمع مُطلقًا عن الآخرة، لا يريد أن يسمع {وَتَذَرونَ الآخِرَةَ}

انظر؛ للقرآن طريقة عجيبة يُكلمك في الدنيا كأنَّك تعيش في الدنيا
يتناقش مع شخص يقول أنَّ الله عزَّ وجل لا يقدر على جمع العظام
فيرد عليه {بَلى قادِرينَ عَلى أَن نُسَوِّيَ بَنانَهُ}(سورة القيامة:٤)

وأن السبب الرئيسي لإنكار البعث هو الشهوة {بَل يُريدُ الإِنسانُ لِيَفجُرَ) (سورة القيامة:٥)

ثم ينقله القرآن فجأة إلى يوم القيامة

{فَإِذا بَرِقَ البَصَرُ ۝ وَخَسَفَ القَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمسُ وَالقَمَرُ} (سورة القيامة:٩:٧)

حتى يقول أين المفر ثم يرجع به القرآن مرَّة أخرى يقول له: إن مشكلتك أنَّك تُحب العاجلة وتذر الآخرة!!

ثم يرجع به مرة أخرى للقيامة

{وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ ۝ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ ۝ وَوُجوهٌ يَومَئِذٍ باسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفعَلَ بِها فاقِرَةٌ ۝ كَلّا} (سورة القيامة:٢٤:٢٢)

كل هذا في يوم القيامة

{كَلّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ} (سورة القيامة:٢٦) عاد من يوم القيامة إلى لحظات الموت، على فراش الموت

أي ترك يوم القيامة وعاد إلى فراش الموت

{كَلّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ ۝ وَقيلَ مَن راقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ الفِراقُ ۝ وَالتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ ۝ إِلى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المِساقُ} (سورة القيامة:٣٠:٢٦)

يُعيده مرَّة أخرى إلى يوم القيامة ثم رجع للدنيا

{فَلا صَدَّقَ وَلا صَلّى ۝ وَلكِن كَذَّبَ وَتَوَلّى} (سورة القيامة:٣١:٣٢)

القرآن يصعد به لأعلى ثم يُعيده مرَّة أخرى، يذهب به للقيامة ثم يرجع به للدنيا ثم يُريه أنَّ الناس تنقسم إلى قسمين، كل هذا حتى يقول له:

اتخذ القرار.كُن من أهل اليمين، اترك هذه العاجلة،

مَن يريد أن يتحدث مع شخص مُعرِض يتكلم بهذه الطريقة وبهذه السرعة،

يريد أن يتعلم التحدث مع شخص مُعرِض ويريد أن يقول له اسمعني فقط لخمس دقائق،!!

يقول لك خمس دقائق فقط ولا تُزِد عليهم،

فتحدثه بهذه الطريقة،

مواضيع متنوعة الدنيا والآخرة والقيامة، ...إلخ،

وفي النهاية الكلام العقلي طرقات سريعة...

وهذا أسلوب القرآن المكي لأنَّ القرآن المكي يتكلم مع معارضين،
القرآن المدني يتكلم مع أهل الكتاب يدَّعون أنَّهم عندهم العلم، والنقاشات العلمية والتشريعات تحتاج إلى آيات طويلة، آيات الطلاق وآية الدَّين وآيات المعاملات المالية،

لا يصح أن تذهب لشخص مُعرِض وتُكلمه بطريقة هادئة وكلام طويل،!!
لن يسمعك، يجب أن يكون كلامك طرقات سريعة متنوعة، واضح؟

فالقرآن نتعلم منه كيفية الخطاب وأسلوب الخطاب والكلام الذي سنتحدث به في الخطاب.

{كَلَّا بَل تُحِبّونَ العاجِلَةَ ۝ وَتَذَرونَ الآخِرَةَ ۝ وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ} (سورة القيامة: ٢٠:٢٢)

كيف اكتسبت هذه النُضرة؟

يقول الله تعالى أن الناس عندما اختلفوا في الوجهة في الدنيا؛ اختلفت الوجوه في الآخرة

وهُذا سر اختيار الوجه ،

الوجه يُعبّر عن الوجهة، هناك مَن كانت وجهته في الدنيا أنَّه كان يحب الله،
وهناك مَن كانت وجهته أنَّه لا يريد أن يسمع عن الله،

الذي كان يحب الله ويتمنى أن يسمع عن الله ويتمنى أن يُرضي الله {وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ } (سورة القيامة:٢٢)

من أين اكتسبت النضرة؟؟ {إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ }(سورة القيامة:٢٣) -اللهم ارزقنا يارب-
أنَّها تنظر إلى وجه الله يوم القيامة كما كان في الدنيا ناظرًا إلى مراد الله، مشغولًا بمراد الله، يبحث عن

مراد الله، الآن هو في الآخرة ينظر إلى وجه الملك سبحانه وتعالى،

وكما كان هذا المعرِض لا يبحث عن مراد الله، وجهه والعياذُ بالله يأتي (وَوُجوهٌ يَومَئِذٍ باسِرَةٌ) (سورة القيامة:٢٤) ،

البُسر: الرطب الذي يُطلقون عليه بُسر الذي قُطِف مُبكرًا،

الطفل المبتسر الذي وُلِد مُبكرًا ووجهه مجعد لا توجد فيه النضرة،
النضرة فيها نعومة، باسرة أي فيها –انتبهوا معي في الألفاظ التي أقولها سوف تُفيدنا عندما نتحدث عن موضوع السورة– الذي تعجَّل في قطف الثمرة هذا هو البُسر والشيء الذي نزل مُبكرًا مُبتسر، فكذلك الوجوه يومئذ باسرة، الوجوه المجعدة {وَوُجوهٌ يَومَئِذٍ باسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفعَلَ بِها فاقِرَةٌ}(سورة القيامة:٢٥:٢٤)

أما الآخرين {وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ ۝ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ}(سورة القيامة:٢٢:٢٣)

هنا للأسف –مثلما ذكرنا في سورة الأعراف– أن بعض الناس تطرقوا مثل المعتزلة الذين أنكروا رؤية وجه الله يوم القيامة، نحن لن ننشغل بهذه القضية،

مسألة رؤية وجه الله هو أعلى نعيم يتمناه الإنسان، أعلى نعيم في الجنة؛ بل أشد
كما قال **ابن القيم**: "وأشد من عذاب الله في الجحيم حرمانهم من رؤية وجه الله الكريم"،
هذا من أشد ألوان العذاب أن الإنسان يُحرم –والعياذ بالله– من رؤية وجه الله

{وَوُجوهٌ يَومَئِذٍ باسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفعَلَ بِها فاقِرَةٌ}(سورة القيامة:٢٥:٢٤) بعض المفسرين –بل أغلبهم – قالوا تظن هنا بمعنى: تُوقن، وبعضهم قال لا،
هنا تظن مازالت تحتمل معنى الظن، تظن أن {يُفعل} هذا مبني للمجهول أم مبني للمعلوم؟ يُفعل؛ من الذي سيفعل بها فاقرة؟ الفاعل هنا لم يذكر، وجهته أيضًا غير معروفة.

{ تَظُنُّ أَن يُفعَلَ بِها فاقِرَةٌ}(سورة القيامة:٢٥)
قالوا الفاقرة: الحِمل الثقيل حينما يُوضع على الدابة وظهرها يُصدر صوتًا من الفقرات
كأن ظهره سينقصم، فشُبهت الداهية العظيمة والمصيبة الكبيرة سميت فاقرة،

مثلما يقول شخص: هذا شيء يكسر الظهر، هذه هي الفاقرة،

وبعضهم قال: هي خشبة توضع في أنف الدابة، وتُسحَب منها وتؤلم الدابة،

لكن **الأشهر** المعنى **الأول**، أنها من فقرات الظهر،
فاقرة: مصيبة عظيمة، ستوضَع على ظهره فتقصمه، ولكن هل الفاقرة اسم لنوع معين من العذاب أم أنه وصف؟ بمعنى آخر: عندما نقول أن المصيبة عظيمة هل هو وصف لها أم أنك تعرف ما هي بالضبط؟

هي وصف أي أننا لا نعلم من كلمة فاقرة نوعية العذاب بالضبط، هل هذا العذاب أن يقترب من الشمس؟ يقترب من النار؟ ذراع من نار يخرج منها؟ مطارق من حديد؟ لا نعرف ما الذي سيحدث، يُضرب، يُهان؟
ما هي هذه الفاقرة تحديدا؟ لا نعلم،

فانظر كم هي الجملة مليئة بالجو المرعب، يشعر أن هناك مصيبة ستأتي، هو ليس متأكدًا،!
ولكن هناك مصيبة ستأتي، لا يعرف من أين؟؟، ومن الذي سيفعلها؟؟،
تأتي مصيبة عظيمة تقصم ظهره، لا يعرف نوعها،

انتبه لسياق الإبهام الذي في هذه الآية، هذا الإبهام زيادة في الرعب والخوف؛ لأن هو شخصية مستهترة مستهزئة في الدنيا فيعامل بمعاملة من نقيضه –وضحت الفكرة؟–.

{ تَظُنُّ أَن يُفعَلَ بِها فاقِرَةٌ}(سورة القيامة:٢٥) عكس حالة اللامبالاة التي كان يعيشها، من حب العاجلة، إعراض.

{ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ } رجع به خُطوة، كان السياق في نظر المؤمنين إلى الله –عز وجل– أي في عرصات يوم القيامة، فرجع به على فراش الموت
{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ }(سورة القيامة:٢٦)

الله –عز وجل– يجمع الروح من كل أنحاء الجسد { إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ }
ماذا تعني { مَنْ ۜ رَاقٍ }(سورة القيامة:٢٧)؟ على حسب معنى كلمة "راق" يكون معنى الآية

–كما قلنا حسب كلمة "معاذير"، حسب إن كانت جمع معذار أو جمع معذرة–
أيضًا هنا "راق"، لو راق بمعنى يرقي من الرقية، يعني وهو يموت والناس تبحث له على من يرقيه أو يطببه

طبيب،

هو يموت والناس لا زال عندهم أمل، والكل يجري اتصال بالمستشفى، وبحث عمن يرقيه، وقيل: كل من حوله يقول من يستطيع أن يشفيه، هو يعلم في قرارة نفسه أنه سوف يموت،

{ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ }(سورة القيامة:٢٧)، يبحثون عمن يشفيه، { وَظَنَّ } أي هو ظن أنه الفراق، هذا لو معنى { رَاقٍ } بمعنى الرقية.

وقيل { مَنْ ۜ رَاقٍ } بمعنى: {ولن نؤمن لرقيك} أي لصعودك، أي أن الملائكة من حوله تقول: من سيرقى بروحه ملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة؟

{ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ }، الملائكة هنا التي تتكلم وليس الناس، الملائكة من حوله يسألون وهو في لحظة الفراق والملائكة تتساءل وهو منتظر المصير { مَنْ ۜ رَاقٍ }؟؟،

من سيرقى به ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب، أيضًا **مشهد من الرعب والفزع**،

إذًا حسب كلمة { رَاقٍ }، رقية أو يرتقي، { وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ } هو في قرارة نفسه { وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) }... كان متوقع أن جملة { ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨)} بدلًا منها؛ أيقن أنه الموت،

لماذا قال ربنا { وَظَنَّ }؟ و لماذا سمى ربنا الموت بالفراق؟

كل كلمة في القرآن لها دلالة، وظن كأنه -كما أشار بعض أهل العلم- لا يريد أن يصدق، يعني مازال وهو يموت، وروحه تصعد، لكن مازال بداخله أمل (لا لا لن أموت)، من شدة تشبثه بالدنيا، وهذا أحد معاني قوله سبحانه تعالى (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا) (سورة القيامة:١)

أن الروح متمسكة بالدنيا وهي تُنزع، ملك ينزعها؛ وهي متمسكة بالدنيا فهذه { وَظَنَّ }،

لماذا الفراق؟:

لأن كل ما يشغله في هذه اللحظة أنه سيفارق الملذات،

كل ما يشغله (هل حقًا سأترك الدنيا التي عشت لأجلها؟ ؟؟

هل من المعقول أن أفارق الملذات والملاهي والشهوات، أحقًا سأترك كل هذا؟"

كان يفجر أمامه، كان يفعل كل ما يريد، فتخيل عندما تأتي لحظة يُؤخذ منه،

{ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ}(سورة سبأ:٥٤)، كل ما يشتهيه يُؤخذ منه في لحظة ألم، فكأن كل ما يشغله في هذه اللحظة ملذاته {الفراق}

ليس مشغولًا إلى أين سيذهب؟؟ أو كيف سيُحاسب؟؟،
ليس كالمؤمن هو مشفق من الساعة، لا هذا كل ما يشغله أنه سيترك الملذات
{ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) }، فعندما أيقن أن الموت { وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) }
قيل أن الساق معناها الشدة، "وكشفت الحرب عن ساقها": أي اشتدت،

ف (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩)}: أي اجتمعت عليه شدائد الدنيا –نهاية الدنيا– وشدائد بدايات الآخرة،
فالساق الأولى: أي شدة الدنيا من فراق الأولاد والزوجة والملذات والشهوات والأموال،
والشدة الثانية: عرصات يوم القيامة وعذاب القبر وملائكة العذاب، اجتمعت عليه الشدائد،

{ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩)} وقيل أن الساق هنا معناها على الحقيقة: أي القدم
وأن الإنسان عندما يموت تنزع منه الروح، لا يستطيع أن يحرك قدمه،
عندما تصعد الروح من الرِجل يصبح كالمشلول رجله تلتف، فرجلاه تلتف على بعضها البعض كالمشلول؛ لأنه لم يعد فيها قوة، نزعت منها الروح فقيل هي على حقيقتها { وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) }،

كان يأبى أن يذهب إلى الله عز وجل بإرادته، كان لا يريد أن يذهب إلى المسجد،

لكن الآن { إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}(سورة القيامة٣٠) الآن يُساق غصبًا عنه إلى ربه،
كان لا يريد أن يذهب إلى ربه بإرادته،
الآن { إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ }، المفاجأة هي النتيجة، { فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى }(سورة القيامة٣١)
لا إيمان ولا أعمال { وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) }، كذب بالإيمان وأعرض عن كل الطاعات ولم يكتفِ بمجرد التكذيب، لكن أضاف إلى ذلك الكبر والاستهزاء.

ثم ذهب إلى أهله بدلًا من أن يذهب إلى ربه فذهب إلى أهله! إلى عزوته،!
عنده عزوة وعنده مال وبنين، ذهب إلى أهله يتمطى،

قيل أن المطى بمعنى الظهر ويتمطى: منتصب الظهر يتبختر،
هل تذكرون متى وردت كلمة الظهر هنا؟ { فاقِرَةٌ }، فكلمة فاقرة عكس يتمطى،
هذا الذي يذهب لأهله يتمطى ويتبختر سوف تنزل مصيبة على ظهره تقصم هذا الظهر الذي لطالما تكبر

{ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِه يَتَمَطَّى }(سورة القيامة٣٣)
ثم دعاء عليه { أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى }(سورة القيامة:٣٥:٣٤) ،
قيل أولى لك فأولى: أي ويل لك ثم ويل لك ويل لك ثم ويل لك،
قيل أولى لك فأولى معناها في اللغة عند العرب: لِيليك ما تكره، يليك يعني يقترب منك،

عندما تقول لشخص أولى لك كأنك تدعو عليه، تقول له: يارب مصيبة تقرب منك، أولى لك: يليك أي تلازمك دائمًا مصيبة، فقالوا أولى لك: دعاء على شخص أن تقترب منه المصائب، هذه ليليك، إذا بحثتم في التفاسير {أولى لك} معناها: ليليك ما تكره أو ويل لك، وقالوا تكررت أربع مرات "أولى لك فأولى *ثم أولى لك فأولى" مع لا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى، أربع جرائم بأربع عتابات.

ثم يعود مرة ثانية {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) }،
في البداية جاءت { أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ(3) } فنرجع الآن للحسبان الحقيقي

الذي يخفيه في نفسه، الشبهة التي قالها في البداية ليست هذه الشبهة هي الشبهة الحقيقية التي بداخله، هذا ما كان يدعيه، يقول أي شبهة لكي يسكتك {ألن نجمع عظامه}، الشبهة الحقيقية التي بداخلك أنك تظن أنك تعيش سدى، أنت تريد الحياة عبثًا...

الشيخ **الطريفي** في كتاب **العقلية الليبرالية** قال: أنا رأيي أن نسمي الليبرالية مذهب (**السُدوية**) من السُدى

،الليبرالية: الحرية التامة التي ترفض العبودية، فقال نسميها بمصطلح قرآني نسميها "السُدوية" من السُدى، مثلما قلنا الإمام الشافعي قال: يريد ألا يُأمر ولا ينهى، فهذه هي الليبرالية التي يريدون تصديرها إلينا.

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(٣٦) }، لذلك ورد عن بعض السلف وعن كثير من أهل العلم قولهم: "من كذَّب بالحق فقد فَجَر"،

وهم يشرحون: {بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ(٥)}؛ يقولون أن الإنسان الذي ليس عنده حق في حياته،

ليس عنده ثوابت، ليس عنده قيم، لا بد أن يفجُر،

وإلا ما الوازع الذي سيمنعه من المعصية لو الإنسان ليس عنده دين؟؟؟

لذلك كُتَّاب علم الاجتماع في الغرب، وهم يؤسسون للدولة المدنية في الغرب قالوا: لا يصحّ أن يكون الملحد مواطنًا صالحًا فيها، فالإنسان يردُّه الدين الذي ينتمي إليه، والملحد هذا يرفض كل الأديان ما الذي سيردُّه؟ يعني الحياة عنده عبث وسُدى، ما الذي سيمنعه؟ فسيفجُر؛ يفعل ما يريد..

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}؟!

الجواب العقلي للشبهة التي قالها في البداية: {أَلَمْ يَكُ} ليست حتى "يكن" الخطف هذا يعني أنه كان لا شيء!

{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى}(سورة القيامة:٣٧) هو يبحث عن دليل، ابحث في نفسك!

{ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى}(سورة القيامة:٣٨) هل هذا جاء بالصدفة؟

أصحاب التطور العشوائي فعلًا الواحد يتعجَّب منهم كيف يقولون أن الموضوع جاء عشوائيًا!

{ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى} لما شخص يقرأ لهم يقولون: أن الأمر جاء بطريقة عشوائية،

كانوا قديمًا يقولون هناك شيء اسمه التطور الموجَّه؛ يعني هناك إله يوجِّه التطور –طبعًا نحن نرفض التطور كلية–،

لكن كان هناك فريق يقول أنه كان هناك إله يوجه التطور،

لكن الآن الداروينية الجديدة تقول: لا ليس هناك إله يوجّهه وإنما هو عشوائي، فعلًا شيء عجيب!!!

كل هذا عشوائي؟ خاصة بعد اكتشاف (DNA) وأن كل الأحماض الأمينية والترتيب وكل جين له وظيفة، والترتيب المبدع هذا، لذلك أحد الذين ردوا على داروين –رغم أنه من الغرب– في كتاب اسمه "التوقيع في الخلية"، كتاب رائع تكلَّم كيف كأن هذه الخلية تحمل توقيعًا أن لها خالقًا، إعجاز عندما تقرأ في هذا العلم، في النهاية يقول: سدى؟ عشوائي؟؟؟

{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى}(سورة القيامة:٣٧,٣٨)

من الذي يرعاه هنا من نطفة إلى علقة؟ ؟؟

{ فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى }(سورة القيامة:٣٨:٤٠) يا من تنكر إحياء الموتى {أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى}؟!

الذي ينكر قدرة الله –عز وجل– بعد كل هذا لا تتجادل معه، هناك شخصيات هكذا، مثل الذي يقول لك: الكون ليس فيه أي إعجاز ولا أي دقة وأن جسم الإنسان عشوائي، أنا رأيي لا تتناقش معه، فعلًا من التجربة تبيّنَ أن هناك أشخاصًا النقاش معهم لن يجدي شيئًا، هذا ينكر حتى العقل!!! ،

سيصِل لمرحلة أن ليس هناك شيئًا معقولًا، كل شيء من الممكن أن يكون غير معقول. هذه شخصيات وصلت مرحلة تحتاج أن تدخل مستشفى المجانين، هذا هو الحل! أو "دُرَّة عمر" هذا الحل فقط، لكنها مفقودة الآن!

لكن هناك من عنده شبهات تُحل، يمكن أن تناقشه.

ففي النهاية: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى(٤٠)} بلى سبحانه وتعالى قادر.

قبل أن نتكلم عن **موضوع سورة القيامة** ومن الذي تكلم في موضوع سورة القيامة، مسألة كلمة التفسير الموضوعي وموضوع السورة كثير من الناس وخصوصًا في الفترة الأخيرة منشغلون بقضية موضوع السورة،

أحيانًا الانشغال بموضوع السورة قبل مدارسة السورة بصورة تحليلية آية آية أرى أنها تحوّل سور القرآن لحالة من "التَّرف"، يعني أصبحت معلومات، يقول لك: سورة الكهف تتكلم عن كذا فقط، إذاً اقرأ سورة الكهف، يقول لك: لا أنا عرفت عن ماذا تتكلم، هي لن تأتيك في الامتحان وتُسأل عنه، استفِد من آية آية من سورة الكهف، هذه الآيات تهزّ الجبال.

يقول لك: أنا عرفت أن سورة العنكبوت تتكلم عن الفتن والابتلاءات وهكذا، طيب اقرأ تفسير سورة العنكبوت واحفظها وصلِّ بها وعِش بها، يقول لك: لا أنا عرفت عن ماذا تتكلم!!!

فأحيانًا هناك ولع عند الناس بقضية موضوع السورة، وأنا أرى أن هذا يُفضَّل دائمًا أن يأتي متأخرًا، يأتي في المرحلة الرابعة من التفسير، فيعرف **المفردات** ويعرف **معنى** الجمل، **يفهم** آية آية **ويصلي** بها **ويحفظها**، بعد ذلك ممكن يعرف موضوع السورة. الانشغال بمعرفة الموضوع قبل هذه الخطوات أحيانًا يأتي بأثر عكسي، لذلك أنا أخَّرت الكلام فيها للنهاية.

الذين وجدتهم تكلموا في موضوع السورة اثنان: أحد المتقدمين وأحد المتأخرين؛ **ابن القيم** من المتقدمين، -أحد الإخوة جزاه الله خيرًا الذي أرسل لي السؤال التقط نفس الشيء الذي التقطه ابن القيم-.

ابن القيم التقط أن هناك معنى يسير في السورة كلها؛ وهو معنى الجَمْع، وقال إن السورة من معانيها - طبعًا هذا ليس نص كلام ابن القيم وإنما المعنى-

قال إن السورة من معانيها قدرة ربنا على الجمع،

وقال إن الله يجمع الناس يوم القيامة، ويجمع العظام

ويجمع الشمس والقمر ويجمع الأعمال {يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ(١٣)}،

ويجمع القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وسلم،

ويجمع الناس في صعيد واحد لرؤية وجه الله، ويجمع الروح من كل أنحاء الجسد،

فذكر الجمع ستة أو سبعة مواطن في هذه السورة القصيرة التي فيها قدرة ربنا على الجمع، وأنت تقرأ تجد ذِكر قدرة ربنا على الجمع، ولفظ الجمع ذُكر في السورة أكثر من مرة، الذي قال هذا الكلام ابن القيم.

أنا لماذا أذكر القول الثاني؟ لأنه ليس معنى أن أحدًا قال أن موضوع السورة كذا فهو كلام نهائي؛ هذه اجتهادات بشرية نستفيد منها، ممكن واحد يقول موضوع السورة كذا، وممكن لغيره أن يكتشف موضوعًا آخر للسورة، ويكون هناك موضوع ثالث يربط الاثنين مع بعض، وهذا المثال الذي سنذكره اليوم.

الدكتور فاضل السامرائي متميز جدًا في اللغة من المعاصرين قال: بدأ الموضوع معه في القصة التي ذكرها في "لمسات بيانية"، ابنه يقول له: يا أبي ما علاقة {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦)} بكلمة {لا أقسم بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(١,٢)}؟

قال: دعني يا بني حتى أقرأ هذه السورة، فرجع للسورة وقال له: واضحة جدًا، قال كيف هي واضحة؟ قال: النفس اللوامة نفس عجولة، نفس تتعجَّل فتخطئ، فترجع تلوم نفسها، ليس عندها تُؤَدَة، أو نفس متباطِئة فتمر عليها أعمال كان ينبغي أن تعملها، فقال له: المعنى الرئيسي في اللوم قضية العجلة.

يقول لما قلت له هذا، وأن هناك علاقة بين كلمة (لِتَعْجَلَ بِهِ)وبين {النفس اللوامة}،

فوجِئت أن السورة مليئة بقضية العجلة، وأن ربنا سمى الدنيا فيها العاجلة، وقال للنبي لِتَعجَل، وأن النفس اللوامة عجولة، وحتى الألفاظ التي في السورة مليئة بالعجلة،

حتى لفظ "باسِرة" -لو تذكرون- قلنا الذي تعجَّل الثمرة. فالألفاظ فيها اقتضاب؛ فيها حذف جواب القسم، فيها حذف أشياء موجودة في السورة مثل جواب الشرط، فيها {ألم يك} وليس "ألم يكن" فيها حذف حروف. قال حتى جو السورة والطلقات السريعة فيها جو العجلة.

فهو يرى أن السورة تتكلم عن قضية العجلة، وأن الإنسان المتعجل هو الذي يخطئ ويلوم نفسه، وحتى أهل الدين قد يصابوا بهذا المرض الإنساني، أنه يتعجَّل، فربنا يقول لهم: لا تتعجلوا، وحتى الإنسان لا يكون في صدره حَرَج ربنا أتى بعتاب للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تعجل؛ {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}(سورة القيامة ١٦) ، فحتى أهل الدين مُطالبون بهذه النصيحة !!!

لا تتعجلوا.. لا تتعجل التمكين.. لا تتعجل الثمرة.. لأن بطبيعة النفس كل البشر عندهم عجلة..

قال ربنا –سبحانه وتعالى– في آية تبيّن كأن العجلة هذه جزء من خِلقة الإنسان: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} [سورة الأنبياء ٣٧]، لذلك يقولون: رؤية الآيات لا يناسبها العجلة، الذي يريد أن يتدبر لا ينبغي أن يكون متعجلًا.

فهنا الدكتور فاضل يرى أن موضوع السورة الرئيسي هو **التَّعجُّل**.

نحن ممكن أن ننظر من الخارج ونقول: ما الجمع؟ كلام ابن القيم كلام موزون، كلام جيد فعلًا، كلام فاضل السامرائي كذلك.

نحن يمكن أن ننظر إلى الاثنين معًا، وسبحان الله الآية أصلًا التي فيها إشكال في السورة أتت باللفظتين: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (سورة القيامة ١٦,١٧) فكأن السورة تقول لنا أن الإنسان بطبيعته يتعجَّل ولن يتخلَّص من هذا المرض إلا بيقينه أن الله قادر على جَمْع كل شيء، يعني أنت حتى تتخلَّص من العجلة يجب أن تُوقِن، وربنا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تتعجل فإني قادر على الجمع.

أحيانًا الإنسان يريد أن يصِل للناس، فربنا يقول له: لا تتعجل فأنا قادر أن أجمع لك الناس، أنا أريد خيرات ومباحات في الدنيا، لا تتعجل، إياك أن تفعل الحرام، ربنا قادر أن يأتيك بها، عسى ربنا –سبحانه وتعالى– أن يجمعك بكل هذه الأشياء، مثل سيدنا يعقوب كان عنده أمل أن يجمعه ربنا بكل أبنائه، وقد كان، {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا}(سورة يوسف ٨٣)
بالفعل جمعهم له، فالقضية المتعجّل شهوة، من تعجل شيئًا قبل أوانه يعاقب بحرمانه.

إذًا كيف أصبر؟ يقيني أن الله قادر على الجمع، لو أن هذا الأمر فيه خير هو قادر على أن يجمع بيني وبين هذا الأمر، لو الأمر هذا خير لي أكون موقنًا، وأنه طالما لم يُجمع بيني وبين هذا الأمر فقد صرفه الله عني، وهذا دعاء الاستخارة: "فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه"

ممكن واحد يقول لي: لا، أنا وجدت فكرة رابعة جديدة في السورة، لا مشكلة لو عندك شواهد، ابن القيم جاء بشواهد، الدكتور فاضل جاء بشواهد، هذا أمر اجتهاديّ ليس الغرض منه إثبات شيء للسلف، الغرض منه كيف نستفيد الاستفادة الأمثل من السورة، لذلك أنا أخَّرت هذا الكلام، الانشغال بقضية موضوع السورة قبل مدارسة السورة أحيانًا يُغلق على الإنسان التفكُّر في هذه السورة، فهو أصلًا يريد أن يتعجَّل ويفهم موضوع السورة قبل المدارسة التحليلية، شخص متعجّل وسيصِل لفكرة مبُتَتَرة.

الطفلة سألتني: إذا كانت الملائكة لا تدخل مكانًا فيه تصاوير فماذا عن ملك الموت؟

ملك الموت يدخل أي مكان، ملك الموت مُستثنى،

الملائكة هنا التي يتبرَّك بها المؤمن وتدعو للمؤمن، وتساعده على الصلاة؛

لأن المؤمن له لَمَّة من الملك تساعده على قيام الليل، تساعده على صلاة الفجر، يُحْرَم هذه البركة ويُحرم هذا الخير، كما أن الملائكة تشاركنا في الصلاة وحتى لا نؤذي هذه الملائكة التي تشاركنا في الصلاة الذي يأكل الثوم أو البصل لا يأتي، كذلك البيت الذي فيه قيام وفيه قرآن تكون فيه الملائكة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، أيضًا عن الذين يقرأون القرآن تَحُفُّهُمْ الملائكة(١)، فالملائكة هنا لها أعمال أخرى، لكن ملك الموت مستثنى من هذا.

نكتفي بهذا القدر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

١- [عن أبي هريرة:] ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كتابَ اللَّهِ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكَةُ، وذكرَهُمُ اللَّهُ فيمَن عندَهُ .. النووي (٦٧٦ هـ)، التبيان ١٢٨ • رواه مسلم وأبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم • أخرجه مسلم (٢٦٩٩) باختلاف يسير مطولاً